الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت

مخبر الدراسات النقدية و الأدبية المعاصرة - تيسمسيلت

ISSN: 2571-9882

رقم الإيداع القانوني: مارس 2017

دراسات معاصرة

مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية

تنشر الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية

تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي–تيسمسيلت/الجزائر

العدد 02 /جوان(حزيران) 2017

منشورات مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت

ISSN: 2571-9882

رقم الإيداع القانوني: مارس 2017

دراسات معاصرة

مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية

تنشر الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية

تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي-تيسمسيلت/الجزائر

العدد 02 /جوان(حزيران) 2017

منشورات مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ترسل المواد البحثية حصرا عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية:

www.asjp.cerist.dz

البريد الالكتروني للمجلة

dirassat.mo3assira@gmail.com

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المدير الشرفي للمجلة:

أ.د. العتيقي أحمد

مدير المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر

مدير المجلة:

د.بن علي خلف الله

مدير مخبر الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر

رئيس التحرير:

د.فايد محمّد المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.

هيئة التحرير:

د.مصابيح محمّد/المركز الجامعي تيسمسيلت.

د.علي سحنين/جامعة معسكر/الجزائر.

د.عطار خالد/المركز الجامعي تيسمسيلت.

د.مرسلي مسعودة/المركز الجامعي–تيسمسيلت

د.طعام شامخة/المركز الجامعي تيسمسيلت.

د.شريف سعاد/المركز الجامعي تيسمسيلت

د.بولعشار مرسلي/المركز الجامعي–تيسمسيلت/الجزائر.

د.فتح الله محمّد/المركز الجامعي–تيسمسيلت/الجزائر.

أ.رافة العربي/المركز الجامعي تيسمسيلت.

أ.كمال الدين عطاء الله/جامعة حسيبة بن بوعلي–الشلف.

الهيئة العلمية الاستشارية:

أ.د/مخلوف عامر/ جامعة طاهر مولاي–سعيدة/الجزائر.

أ.د/عقاق قادة/ جامعة جيلالي ليابس–سيدي بلعباس/الجزائر.

أ.د/بلوحي محمّد/ جامعة جيلالي ليابس–سيدي بلعباس/الجزائر.

أ.د/عمار بن زايد/جامعة الجزائر

أ.د/غني ضياء العبودي/جامعة ذي قار/العراق.

أ.د/مباركي بوعلام/ جامعة طاهر مولاي–سعيدة/الجزائر.

د.علاوة كوسة/المركز الجامعي ميلة/الجزائر.

د.رشيد بلعيفة/جامعة عباس لغرور–خنشلة/الجزائر.

د.مكيكة محمد جواد /جامعة ابن خلدون–تيارت/الجزائر.

د.بلمصابيح خالد/المركز الجامعي تيسمسيلت/الجزائر.

د.غربي بكاي/المركز الجامعي تيسمسيلت/الجزائر.

أ.د/غربي شميسة/ جامعة جيلالي ليابس–سيدي بلعباس/الجزائر.

د.فريد أمعضشو/ الكلية متعددة التخصصات/ الناظور/ المغرب.

د.مجدي خضر الكردي /جامعة القدس المفتوحة–غزة/فلسطين.

د.حنان يوسف/جامعة الاسكندرية/مصر.

د.بن علي خلف الله/المركز الجامعي–تيسمسيلت/الجزائر

د.صباح لخضاري/المركز الجامعي النعامة/الجزائر.

د.بولخراص محمد /جامعة ابن خلدون–تيارت/الجزائر.

د.بوعرعارة محمّد/المركز الجامعي تيسمسيلت/الجزائر.

د.عطار خالد/المركز الجامعي تيسمسيلت/الجزائر.

د.هدروق لخضر/المركز الجامعي–تيسمسيلت/الجزائر.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

د.مصـــــابيح محمّـــــد/المركـــــز الجـــــامعي-تيسمسيلت/الجزائر.
د.فايد محمد/المركز الجامعي-تيسمسيلت/الجزائر.
د.منقـور صـلاح الـدين /جامعـة ابـن خلـدون-تيارت/الجزائر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شروط النشر:

تتشرف الهيئة المشرفة على مجلة (دراسات معاصرة)، بدعوة السادة الباحثين من داخل الوطن وخارجه للمساهمة في أعدادها، وذلك بإرسال أوراقهم البحثية التي تدخل ضمن اهتمامات المجلة، مع التنويه بضرورة التزام شروط النشر وضوابطه المعتمدة والمبيّنة أدناه:

- تنشر المجلة الأبحاث ذات الصلة باللغة والأدب والنقد.
- يشترط في البحث أن لا يكون نشر أو قدم للنشر في أي مكان آخر، و يتعهد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث للنشر.
- تخضع البحوث للتقويم حسب الأصول العلمية المتبعة.
- يكتب البحث باستعمال برنامج Microsoft Word بصيغة doc أو بصيغة docx. وتكتب الهوامش في آخر البحث يدويا.
- الخط عربي تقليدي حجم 16 للمتن، و14 للإحالات.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20.
- العناوين الرئيسة والفرعية: تستخدم لتقسيم أجزاء البحث حسب أهميتها، وبتسلسل منطقي.
- يقدّم الباحث ملخصا وكلمات مفاتيح باللغة العربية والانجليزية.
- لهيئة التحرير حق إجراء تعديلات تتعلّق بالإخراج الفني النهائي لمواد المجلة.
- قرار هيئة التحرير بقبول إحالة البحث إلى المحكمين أو رفضه مباشرة قرار نهائي مع الاحتفاظ بحقها بعدم إبداء الأسباب.
- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة.
- يزود الباحث بنسخة PDF من العدد الذي نشر فيه بحثه.

ترسل المواد البحثية حصرا عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية:

www.asjp.cerist.dz

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلمة رئيس التحرير:

يسر أسرة مخبر الدراسات النقدية والأدبية بالمركز الجامعي تيسمسيلت أن تواصل في حركية دؤوبة نشاطاتها العلمية. ولعل أهم ما تطل به على الباحثين والدارسين العدد الثاني من مجلة "دراسات معاصرة" هذه المجلة البكر التي أردناها أن تكون حقلا معرفيا وفكريا لكل إسهام علمي ارتقى مضمونه حتى استحق درجة النشر.

وقد شهدنا ميلاد العدد الأول في مارس **2017**. وها هو العدد الثاني من المجلة يرى النور وكلنا أمل في أن يكون أحسن وأنفع، وعند تطلعات الباحثين من أساتذة وطلبة.

وقد اجتهد فريق المجلة في انتقاء المواضيع المتميزة بالجدية والأصالة، والتي تلبي حاجة الدارس والقارئ. ولاسيما طلبة قسم اللغة العربية وآدابها. فتحية إجلال وتقدير لكل الباحثين الذين أثروا هذا العدد بفيض أفكارهم، فجاء العدد متنوعا من حيث الموضوعات ومن حيث الأسماء المشاركة من داخل الوطن ومن خارجه. وهي خطوة تَعِدُ بالخير وبمستقبل أفضل لهذه المجلة.

ولا يفوتنا في هذه الكلمة أن ننوه بجهد طاقم المجلة وأسرة المخبر ككل. ونتقدم لهم بأسمى عبارات الشكر والتقدير على هذا الإنجاز، كما لا ننسى أن نطلب من القراء الكرام عدم البخل علينا بملاحظاتهم وإسهاماتهم العلمية من أجل الرقي بهذا المنبر الفكري إلى الأحسن والأفضل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محتوى العدد:

– سيميائية السرد التراثي العربي في النقد المغاربي المعاصر

أ .د .عقاق قادة جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....10

– المتلقي بين التخييل والمحاكاة والتأثير في نظرية الشعر عند حازم القرطاجني (684هـ) .

د .فيصل أبو الطفيل جامعة القاضي عياض مراكش المملكة المغربية.....18

– الجانب الأدبي في كتابات أبي القاسم سعد الله

أ .د . شميسة غربي جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....27

– محاولات نقل معاني النصوص المقدسة بين الترجمة الحرفية و المعنوية

د . فتح الله محمد المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت الجزائر.....34

– الشعر الملحون ذاكرة الثورة الجزائرية

د . كبريت علي جامعة ابن خلدون تيارت الجزائر.....41

– الموقف التوفيقي بين الفلسفة والشريعة لابن رشد القرطبي

د/ ن. شمناد كلية الجامعة، ترونتبرام، كيرلا، الهند.....47

– أهمية السرد في تشكيل بنية النص.

الباحثة: عجوج فاطمة الزهراء جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....55

– معجم اللغة التاريخي وأهميته في الواقع الحضاري

الباحثة فاطنة نهاري جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....62

– من قضايا المنهج في دراسة الأدب قراءة في كتاب "الأدب قضايا ومشكلات" ليوسف الإدريسي

د . نجاة ذويب جامعة القيروان الجمهورية التونسية.....69

– نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وإشكالية الهوية والانتماء

الباحثة: خليف هوارية جامعة سيدي بلعباس الجزائر 77

– نقد الخطاب الصوفيّ في الشعر العربي المعاصر . قراءة في كتاب "الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر" لسعيد بوسقطة

د . علاوة كوسة المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة الجزائر.....84

– الكتابة النّقدية عند عبد المالك مرتاض

الباحث عبد القادر كباس المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت الجزائر.....89

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي المعاصر قراءة في نص شعري
د .شريط نورة المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت الجزائر.....97
- تجليات التناص في الرواية الجزائرية المعاصرة ثلاثية أحلام مستغانمي " أنموذجا"
د . شريط رابـح المركز الجامعي تيبازة الجزائر.....113
- تناص أم تلاص في رواية القلادة لحميد العقابي
أ.د . ضياء غني العبودي الباحث: مرتضى حسين البدري جامعة ذي قار العراق.....117
- توظيف التراث واستدعاء الشخصيات التراثية في شعر محمود درويش .
د . قردان الميلود جامعة تيبازة الجزائر.....126

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة دراسات معاصرة؛ دورية دولية نصف سنوية محكّمة تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر

الجانب الأدبي في كتابات أبي القاسم سعد الله

أ.د. شميسة غربي
جامعة سيدي بلعباس
الجزائر

الملخص:

بالإضافة إلى التخصص في علم التاريخ، فقد عُرِف عن هذا المؤرّخ؛ ميوله إلى فنّ الأدب، حيث خلّـف الكثير من الأشعار، كما حاول دراسة الأدب الجزائري الحديث، من وجهة نظر معينة، من خـلال كتابـه: دراسات في الأدب الجزائري الحديث.

الكلمات المفاتيح:

أبو القاسم سعد الله، المؤرخ، الشاعر، الشعر الجزائري الحديث، الجانب الأدبي.

Abstract:

In addition to this specialization in history, he had also some tendency and intentionsto the art of literature.

This historian left a lot of poems; and he try to study the Algerian modern literature from his point of viewthrough his book: studies in modern Algerian literature.

Key Words:

Abu El KacemSaadallah. Historian. Poet. Algerian modern Poesy. Literary Aspect.

تمهيد:

رجلٌ خدم الثقافة الجزائرية؛ بِامْتياز...جمع بين التخصُّص في علم التّاريخ، وبيْن المُيول إلى فنّ الأدب، وكان بحقّ؛ كوكباً أوْدَعْناهُ الثرَى...ولله درُّ القائل؛ في موضع آخر:

ما كنتُ أعلمُ وهو يُودَعُ في الثرى أنّ الثرى؛ فيه الكواكبُ تودعُ!

عند مناقشة الجانب الأدبي في هذه القراءة، أرى أنه من الأنسب؛ التركيز على محورين، أساسيين؛ شكّلا ذلك اللون الأدبي في كتابات أبي القاسم سعد الله، وأسْهمَا معاً في إبراز معالم الاتجاه الفني في الفعل الكتابي الذاتي من جهة، وإبْراهصات التذوق للأعمال الفنية الغيرية من جهةٍ أخرى، على امتداد فترات زمنية متنوعة، شهدها الأدب الجزائري، والتقطها الكاتب في تدبّرٍ ووعيٍ، قد تغْلبُ عليْها "التّسْجيلية" أوْ"التوثيقية " الجانحة إلى الاعتماد على تناول المادة الأدبية من خلال تقسيمها إلى فترات تاريخية، وربط قيمتها الفنية بتلك الفترات؛ حتّى وإن تداخلت الفترات وصعُب الفصل بينها لِسببٍ أو لآخر.

المحور الأول: جانب الإبداع في كتابات الرجل، ويتعلق الأمر بنتاجه الشعري والذي كان أغلبه موزَّعاً على الجرائد أو مُحتَفظاً به في شكل كراسات لَدَى ذوي الشاعر وأصدقائه، حتّى آنَ أجَلُ جمْعه ونشرِه... وفي ذلك قال المؤلف[1]:« وليس غريباً أن أقول إن كثيراً من شعري قد ضاع لأسباب عديدة. من ذلك الإهمال وعدم الاحتفاظ بالنسخ منه. فقد كنت أكتب القصائد وأبعث بها إلى الجرائد في الجزائر، أو تونس، أو القاهرة، أو بيروت (...) ولولا تَرْكي لِعَدد من كراسات شعري عند أخي، علي سعد الله، بالقاهرة؛ ومجيئه هو بها سالمة إلى الجزائر؛ بعد الاستقلال، لَفَقَدْتُ شيئاً ثميناً في حياتي. كما احتفظ لي بالقاهرة؛ المرحوم الشيخ أحمد توفيق المدني بنسخة

من ديواني الذي كنتُ سمّيتُهُ "أغاني الجزائر" ثم جاء به إلى الجزائر، وسلمه لي كاملاً سنة 1980».

المحور الثاني: جانب الدراسات الأدبية والتي خصّصها أبو القاسم سعد الله للأقلام الجزائرية في معظم كتاباته، فجاءت تاريخاً في لبوس أدب. ولم تخلُ من التفاتاتٍ نقدية، يحكمها الذوق، وتطبعها الحِيلّة المُوحية بالباع الطويل في القراءة والتأمل، والتّصْنيف للمقروء، مْن وِجْهة نظر مُعيّنة، هي وِجْهة المُؤرّخ بالدّرَجةِ الأولى.

المحور الأول:

أبو القاسم سعد الله الشاعر: إنّ المتأمل في كتابات أبي القاسم سعد الله، يكتشف –لا محالة– تلك اللمسة الفنية المضافة إلى سجلّ الأدب الجزائري في مسيرته المُشرِقة حيناً، والشاحبة حيناً. في ظلّ منعطفات فكرية، سياسية، اجتماعية، تاريخية، وحتّى إبداعية.

كان أبو القاسم سعد الله شاعراً فرض نفسه على الساحة الأدبية الجزائرية؛ بِوَقفاتٍ فنيّة جميلة، جسّدتْها قصائد الدّيوانيْن: "النّصْرُ للجزائر"، "الزّمنُ الأخْضر" والذي صرّح الرّجلُ في مُقدمته قائلاً: «كثير من الناس طرحوا عليّ السؤال التالي: لماذا توقّفْتَ عن قرض الشعر؟ وأعتقد في البداية أنّ هناك أشياء ليس من السهل الإجابة عليها، فالإنسانُ مثلاً لا يستطيع الإجابة على السؤال: لماذا وُلِد؟ لماذا يموت؟(....) هلْ سفري إلى أمريكا غيّرَ مجْرَى حياتي؟ هلْ تخصّصي في التّاريخ كان السبب؟ (...) كنتُ أتابع الشعر الجزائري منذ 1947 باحثاً فيه عن نفحات جديدة، وتشكيلات تُواكبُ الذوق الحديث، ولكنّي لم أجدْ سوى صنمٍ يركع أمامه كل الشعراء، بِنغمٍ واحد وصلاةٍ واحدة... ومع ذلك فقد بدأتُ أوّل مرّة أنظم الشعر بالطريقة التقليدية، أيْ كنتُ أعبُدُ ذات الصنم، وأُصلّي في نفس المحراب، ولكنّي كنتُ شغوفاً بالموسيقى الداخلية في القصيدة، واستخدام الصورة في البناء... غير أنّ اتّصالي بالإنتاج العربي القادم من المشرق –ولا سيما لبنان– واطّلاعي على المذاهب الأدبية والمدارس الفكرية، والنظريات النقدية، حملني على تغيير اتّجاهي ومحاولة التخلص من الطريقة التقليدية في الشعر»[2]، إنه اعتراف يرسمُ طموح التجربة الشعرية لدى الكاتب، بضرورة التنصّلِ من عباءة الهيكل القديم، وتطلع الذات المبدعة إلى المسار الجديد في الشعر العربي، سواء كان ذلك على مستوى شعر التفعيلة، أو على مستوى قصيدة النثر، وقدْ أبالغ إذا ذهبتُ إلى أبعد من هذا لأطرح تساؤلاً –رُبّما تعسُّفياً– فحواه: هل من المستبعد أن تكون بعض قصائد أبي القاسم سعد الله نواة "الهايكو" في الكتابات الجزائرية؟ ألمْ يقلْ في بعض ما قال[3]:

ألمحُ الأطيافَ من حولي شوادي
للرّؤى السكرى، لآلاف العباد
للربيع الحلو شوقاً للزهور
للهوى الزخار؛ بالذكرى وأنسام العطور

وفي موضع آخر؛ حين تغنى بالأوراس[4]:

"أوراس" والدماء والعرق
وصفحة السماء والغسق
والأفق المحموم راعف حنق
كأنه وجودي القلق
قد ظمئتْ عيونه إلى الفلق
وسال من أطرافه دم الشفق
ونجمة من الشمال تحترق
كقلبي الذي يدُقّ
و"الأطلس"الأنوفُ والبطاح
محمرة الخدود بالجراح
وغابة البلوط كالأشباح
تُرْقصها عواصف الرياح
ثائرة ممتاجة الكفاح
والنهر والنغوم والسمر
والضفة الخرساء والصخر
منتثرٌ... وزائر القمر
يُطلُّ في حذر

في رحاب الزمن الأخضر: تكوّن الديوانُ مِنْ ثمانين عُنواناً، ما بيْن قصيدةٍ ومقطعٍ وخاطرَة، امتدّتْ على مساحةِ تِسعٍ وسبعين وثلاثمائة صفحة (379) دوّنها الشاعر في أماكن متفرّقة. أغلبها نُظِمَ في تونس، القاهرة، الإسكندرية، أمريكا (مينيا بولس)، بالإضافة إلى نصوص حدّد مكانها إمّا في الجزائر العاصمة، أوْ في قمار، الحراش، الأبيار، العين الباردة.

أمّا من ناحية المواضيع المطروقة بين دَفّتَيْ الدّيوان، فقد تغذّتْ في أغلبها مِنْ رحيق الوطنية، وفلسفة الحرية، وعبق الوجدانيات، ولوحة الطبيعة، المُنتشية حيناً؛ والغاضبة حيناً آخر. ولعل بعض الالتقاطات السريعة من الصفحات الغزيرة، تمنحنا سانحة التساؤل: لماذا أُهمل الجانب الأدبي عند الرجل؟ هلِ "التّخصص" يُلْغي الاهتمامَ بالمعْرِفة الأخرى لدى المثقف؟ أمْ أنّ الأوَانَ لم يَحِنْ بعْدُ للكشف عن الذائقة الفنية التي تنْسج الذاتُ المُبْدعة من خلالها معالمَها الفريدة على مستوى من

الشاعرية لا يمكن تجاهله، لأنّ التجاهل إنما هو إجحاف بيّنٌ في حقّ المنظومة الشعرية الجزائرية ككُلّ.

رحيق الوطنية: لم يكن أبو القاسم سعد الله بمنأى عن واقع الجزائر إبّان الاحتلال، وما كان قلمه ليغفل عن تصوير موضوعة الثورة في عرينها. إنه يحكي عن الثوار في نسقية شعرية متصاعدة نحو تأجيج الفعل الثوري والتّنديد بِمَن يتوهّمُ قطع الطريق أمام أبطال الثورة. يقول[5]:

والثائرون...
الثائرون على الطغاة يُناضلون
والخائنون يُقهقهون ويسخرون
ويُردّدون:
«الخارجون المجرمون
سيُحاكَمون ويُعْدمون
والشعبُ تقهره الضرائبُ والسجون»

إلى أن يقول[6]:

والكلُّ يسخر بالقيود وبالسجون
ويُردّدُ اللحنَ الخصيب:
«نحن القساة على الطّغاة
نحن العُتاة عليهم أمد الحياة
سنحطمُ الأصْنام... أصنام الجُناه
ونمجّدُ الأبطال... أبْطال الكفاح
ونعيش للأوطان آمالاً فِساح
ونرى بأعيُننا الوجود
نشوانَ مبتسمَ الحدود
والموكب الوطني خفاق البنود
يهتزُّ بالأحرار ... أشبال الأسود»

تتسع الصورة، وتترسّخ القضية الوطنية بالتشديد على الهوية الجزائرية لهذه الأرض الطيبة، ويعلو صوت الشاعر، مُذكّراً بما قد يتناساه البعض[7]:

يا مالكين..
هذا ترابي من قديم
أسقيهِ ذكرايَ الكئيبة
أسقيه ألحانَ البطولة
هذا ترابي من قديم
يا مُترَفين...!
تَفْديهِ كلّ جوارحي ودمي الحميم
يا مُترَفين...
أنا هُنا، أبداً هنا
ذُعراً وإعصاراً ونار
لا شيء يمنع سيلنا
في أرضنا الملآى بطاقات الحصيد
سنعيش أحراراً وصيد
في أرضنا البِكر... الوَلود !

لا يلبث الشاعر أن يلتفت إلى مَن حاول عرْقلة المسيرة الثورية،فيرفع عقيرته مُنددّاً[8]:

برِئَتْ أرْحامُ أرْضي
وصحاري وشعْبي
منْ زنيمٍ خانَ عِرْضي
يحتمي باللّيل كالخفاش.. كاللصّ الوَضيع
وأنا أمْضغُ حِقْدِي
خائناً يشرب من نهر النّجيع
ويصب القحْط في حقلِ الرّبيع !

وكان لا بدّ –والحالُ هذه– مِنْ إيقاظِ الهِمَم؛ وشحْذ الحَماس لدى الشّعْب المُكافِح، المُتطلع إلى الحرية، يقول الشاعر[9]:

أيها الشعبُ الصاعد نحو الشمس
أيها الشعب الصارخ في وجه الطغيان
أنت الجبار الذي لا يغلب
أنت الصخرة العاتية
التي تصفع أمواج الاضطهاد
أنت الخضمُّ الطامي
أيها الشعبُ....!
افتح جوفك الجهنمي
لينطبق على هؤلاء الأقزام...
الذين يذلونك بالسياط....
ويُخدّرون أعصابك الحديدية
ويُمنونك بالوعود الزائفة...
ويمتصون دمك الحارّ
بِشفاهِهِم الغليظة...
أيُّها الشعب....!
إنّ الشمسَ لم تعُدْ تطلع على العبيد...
بعْد اليَوْم...!

يُعرّج الشاعر على سياسة التعذيب التي مثّلتْها أبْشع السجون... فيرْمز إلى سجن "بربروس" أيقونة الدم المحفورة في الذاكرة الجزائرية... يقول[10]:

وهيهات يا ألف قُفلِحديد
ويا ألفَ سوْطٍ شديد

ويا ألف زنزانة مظلمة
ستنهار جدرانك القاتمة
وأقفالك المحكمة
كأمسِ البعيد
بأسلحة الظافرين
بِأيْدٍ غلاظ شداد
بأيدي الجموع الغضاب
تماماً كأمس البعيد
فأصبحتَ شيئاً من الذكريات
ستغدو من... الذكريات...!

فلسفة الحرية: في لحظات التأمل، كثيراً ما يغيبُ الشاعر في رحلةٍ من المناجاة؛ لِعوالمَ رمزية، تُشكِّلُ عنده الهاجس، فيُحاول الاستفسار عن كينونته في واقعٍ كالح، رغم أنه يُدرك استحالة الجواب، ويمضي- قدُماً في سبر أغوارالذّات؛ حين تصْطدم بِـ "الآخر"ويضيع الحلم في وَمْضة حارِقة، يعبر عنها الشاعر بهذه الكلمات[11]:

خدَعْتَني...!
وَعدْتني أشياءَ كالخيال...
وَعَدْتني جواهر السلطان...
وكنتَ أنتَ في القفص
وكان صوتك الجريح؛ لا يبين
وكنتُ عاشقاً مُتيّم الخيال
تبْهُره لآلئُ السُّلطان...
تهزُّه جِراحي الكثار...
يغار عني من غريب الدار
ويركب الأخطار...!
خدعْتَني... !
وَعدْتَني حُرّيتي
فلمْ أجِدْ سِوَى قفص...!

عبق الوجدانيات: حرّ في نفس الشاعر أبي القاسم سعد الله؛ عُزوف "الهَزار" –محمّد العيد آل خليفة- عن الغناء. فراح يُعاتبُ ويتحسّر بل ويستفسر عن صمت محمد العيد في ظرفِ هو الأحقّ بالصدح. يقول أبو القاسم[12]:

مغاني الأنس سكرى في مآسيها
وسدرة الخلد ظمآى في مغانيها
شجية الأفق، لا الأوتار هازجة
ولا الهزار... هزار الشعر شاديها
كأنها وظلال الأنس كاسفة
عذراً؛ يكاد ضنى الأشواق يذويها
أين الهزار؟ فهل ضنت حناجره
عن الحياة بما يدني أمانيها
يا حالماً بأماني الخلد يسترها
وفي الوجود؛ أماني هو يبكيها
مجلّلاً بوقار الشيب تدفعه
روح التصوف رفافا بواديه
إن الشيوخ إذا لم ترو حكمتها
صدى الشباب فلا جدوى له فيها
عُدْ للطبيعة وابْعثْ حُسنها نغماً
فإنما الشعرُ ألحانٌ نُغَنّيها

لوحة الطبيعة: كغيره من الشعراء، هام "أبو القاسم" بجمال الطبيعة، واغترف بقلمه من ينابيع الجمال، فجاءت صورُه عاكسة للاِنْتشاء بِسيّدِ الفُصول، "فصل الربيع" وداعبتْه الأماني عند استكانة الروح وصفائها، فعبّر متغنّياً[13]:

تراءتْ من أشعتك الأماني
فحارت في تفلسفك المعاني
طلعتَ على الطبيعة وهي سكرى
بكأس الهمّ لا كأس الدنان
فأشرقت الحواضر والبوادي
وأخصبت القرائح والمغاني
وظللت الخمائلُ عاشقيها
إذا ما استسدلوا ظلّ الأمان
وهاجمهم الحنين إلى التناجي
وشاقهم الفراق إلى التداني
فرجّعَتِ الجداولُ ما شجاني
... من الأغاني....

المحور الثاني: أبو القاسم سعد الله ، الدارس الأدبي

لعلّ خير ما يُمثل الدراسات الأدبية التي تناولها أبو القاسم سعد الله، كتابه، "دراسات في الأدب الجزائري الحديث" والذي طُبع أكثر من طبعة، وصل إلى يدي منها؛ طبعتان: الثانية والسّابِعة. الطبعة الثانية، هي التي قرأتها، صدرت عن دار الآداب سنة 1977 في حدود 133 صفحة، وفيما يلي بَسْطٌ لِأوْتادِها الرّئيسة، حاول أبو القاسم في هذه الدراسة ربْط الأدب الجزائري بالأحداث التي عاشها المجتمع الجزائري، فنجدُهُ مثلاً يُقسّم الشعر الجزائري الحديث إلى خمسة أقسام، اختار لكل قسمٍ منها تسمية خاصة حسب الفترات التاريخية التي عايشها الشعراء الجزائريون وأبدعوا من خلالها، مُتّكئين على

الواقع، يتهلون منه بوعي كبير، وبحماسٍ منقطع النظير، محاولين الجهر بالداء، في انتظار لحظة الدواء.

القسم الأول، حدده المؤلف من أواخر القرن الماضي إلى غاية 1925، وسمّاهُ: شعر **"المنابر"**، لِما امتاز به من الوعظيات والإرشاد، لخدمة أهدافٍ إصْلاحية لا تقدر عليها إلا الكلمات المنبرية الدّاعية إلى يقظة النفوس وإلى حتْمية المُجابهة في ظرْف تستعصي فيه المواجهة.... وأورد في هذا المعنى نماذج شعرية عديدة، على رأسها أشعار "محمّد اللقاني" الذي صاح صيحته الحارقة:

بني الجزائر! هذا الموتُ يكفينا لقدْ أُغِلّتْ بحبل الجهلِ أيدينا

بني الجزائر! استيقظوا فلكَمْ أذاقنا اللهو والإهمالُ تهْوينا!

يا دهرُ! رِفْقاً بأغنامٍ مقطعة عثى بمربعنا سيدٌ لِيبْلينا

كذلك من بين شعراء هذا القسم الأول؛ الشاعر "الجنيد أحمد المكي" الذي نقلته فرنسا إلى السودان لإدارة مدرسة هناك، فاصطدم بالأفارقة لِبياض بشرته، وعندما ضاقت به السّبُل، استأنس بالحيوان: الغزال "سُهيل" ومما نظم فيه:

إن مِلتُ للعرب قالوا أ للعربي وصال؟

أو ملتُ للسود قالواذا... أبيض مختال!

يا ليت شعري! لماذاهذا القِلى والمقال؟

لما رأيتُ نفوراًوالحبّ داء عضالُ

خطبتُ للوحش ودّاًفجاء منه غزالُ

القسم الثاني، حصره المؤلف ما بين 1925 و1936، وسماه شعر **"الأجراس"**؛ وصَفَه الكاتب"بالنغمة الجديدة " بسبب التحولات السياسية الجذرية، وميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وظهور جريدة "البصائر"، وتقدُّم مجلة "الشهاب "في خطوات سريعة نحو الحِراك الوطني المتّقد في صُفوف الشعب... ومن نماذج شعر الأجراس، محمد العيد آل خليفة، الذي رفع عقيرته:

أيها الشعبُ فيم توسع قهراً ليت شعري، لأيّ أمر تقاد؟

ليت شعري، متى تُمدُّ لك الأيدي وتُغْرى بحبك الأكْبادُ؟

بالإضافة إلى محمد العيد آل خليفة؛ مُمثّل شعر الأجراس، يستدعي أبوالقاسم سعد الله، أسماء أخرى مثلت هذا الإتجاه، فيذكر الأمين العمودي، جلول بدوي، مفدي زكريا، مستشهدا بأشعارهم السائرة في ذات السياق...

القسم الثالث، ما اصطلح عليه، بشعر **"البناء"**، وهو المؤطّر زمنياً من 1936 إلى 1945، حيث أخذ الشعر على عاتقه، الدعوة إلى الوحدة الوطنية،والتحرر من الماضي البغيض، والتعريض بالخونة... ويتربع على هذه المرحلة؛ كلّ من محمد العيد آل خليفة، وأحمد سحنون، ومفدي زكريا. ووجود هذه الأسماء مرة أخرى في هذا القسم -البناء- إنما دليل على صعوبة فصل الفترات التي اقترحها المؤلف عند دراسته لتاريخ الشعر الجزائري الحديث...

القسم الرابع، أطّره الكاتب زمنياً من 1945 إلى 1954. وأطلق عليه إسم: شعر **"الهدف"** وكانت مجازر 8 ماي، بمثابة المنعرج الخطير في حياة الشعب الجزائري، حيث سترتفع الأصوات المنادية بالحرية ،وبالإنسلاخ من التبعية الهمجية لسفّاكي الدّماء... وسيعلو صوت الشعراء علو العَلم الرّفراف، وتظهرُ أسْماءٌ أخرى؛ مثل الربيع بوشامة، عبد الكريم العقون، أحمد الغوالمي، موسى الأحمدي، حسن حموتن، الأخضر السائحي، مع الاحتفاظ بالقيادة الشعرية لمحمد العيد وأحمد سحنون ومفدي زكريا؛ في هذه المرحلة أيضاً.

القسم الخامس، حدده المؤلف بإطار زمني واحد، هو 1954، وسماهُ شعر **" الثورة "**.

يمثل هذه الفترة –حسب الكاتب- أحمد الباتني، محمد صالح باويه، صالح خرفي، أبو القاسم خمار، عبد السلام حبيب، عبد الرحمن الزناقي... وقد استشهد الكاتب بأشعارهم في مقتطفات متفاوتة، أختار منها، شعر محمد صالح باويه:

قهْقهَ القيْد برجلي يا رفاقي، حدِّقوا؛ فالثأر يجترُّ ضلوعي

يا جنون الثورة الحمراء؛ يجتاح كياني، ومغارات ربوعي

أقسمتْ أُمّي بقيدي، بجروحي، سوف لا تمسح من عيني دمي

أقسمت أن تمسح الرّشاش والمدفع والجرح بمنديل دموعي

أقسمتْ أنْ تغسل الجُرَحَ، وتغدو شعلة تضرم أحقاد الجموع

بعد هذا التقسيم للشعر الجزائري الحديث حسب الفترات التاريخية، يُعرّجُ المؤلف على تغطية موضوعات الشعر الجزائري، مع ذكر الخصائص، مستلهما ذلك مِن عرْضه لمجموعة من النماذج، التي ارتأى فيها مثالاً حيّاً، يؤكّدُ ما ذهب إليه، فيرى أن أغلب موضوعات الشعر الجزائري مالت إلى الطابع الإصلاحي والوطني بالدرجة الأولى، كما أكد على مسألة "المناسباتية" التي خضع لها هذا الشعر. وعدّد أغراضاً أخرى إلى جانب مواضيع الإصلاح، مارسها شعراء الجزائر بكثرة

شأنهم في ذلك شأن شعراء المشرق، مثل الرثاء، المدح، الوصف، التهاني، العتاب، الحكم، مع الإشارة إلى قلة شعر الغزل، لأسبابٍ ربطها المؤلف بوضعية البلد من جهة، و بالتقاليد والعادات من جهة ثانية، مبيناً أنّ الامْتِعاض من شعر الغزل؛ جاء على لسان الشاعر "محمد اللقاني"؛ الذي قال في هذا الشأن:

ألا فدَعِ التّغزُّلَ في غوانٍ
فتلك طريقة المُشتهرينا
فمن صوت البلاد لنا نداءٌ
يكاد المرْءُ يسمعُهُ أنينا

أما من ناحية الخصائص العامة، فيُجملها الدارس؛ في جزالة اللفظ، والمحافظة على القوالب العتيقة، والإكثار من العبارات الدّينية والتاريخية، على أساس استعمال الشعراء للتضمين والاقتباس في جلّ أشعارهم. كما قارب المؤلف مسألة التأثر لدى شعراء الجزائر آنذاك ببعض المذاهب الأدبية الجديدة، مؤكدا حرص بعضهم على الاعْتدال والحذر أثناء التّعامل مع هذه المذاهب... كما أشار إلى تأثر الشعر الجزائري الحديث بمدرسة شوقي وحافظ والرصافي، هذه المدرسة التي فضّلَ العقاد تسميتها بـ: "المدرسة الوُسْطى"مع فارق واحد يتمثل في أن هذه المدرسة الشرقية، انتقلت إلى الجزائر؛ وارتدتْ ثوباً محلياً، وصُبغت بألوان جزائرية، على يد كلٍّ من محمد العيد آل خليفة، أحمد سحنون، مفدي زكريا، محمد اللقاني، سعيد الزاهري، الهادي السنوسي وغيرهم.

كما يدرس الكاتب، اهتمام الشعراء الجزائريين؛ بالقضايا العربية آنذاك. فيستشهد بأشعارهم حول القضية الفلسطينية، وعودة قناة السويس إلى أصحابها، ومشاركتهم في التعبير عن الأحداث الواقعة في المشرق مثل تأبين الشعراء الجزائيين؛ لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وشكيب أرسلان، وشوقي وحافظ والرصافي. واحتفاليتهم -ولو عن بُعد- بتتويج أحمد شوقي أميراً للشعراء، رغم عراقيل الاستعمار.

أما فيما يخص الكتابات النثرية في الأدب الجزائري الحديث، فقد اهتم المؤلف بعرض مضامين بعض القصص والمسرحيات، خاصة ما تعلق بأحمد رضا حوحو، أحمد بن ذياب، حمزة بوكوشة، مولود الطياب، وناقش ما أسماهُ: "محاولاتنا في النقد الأدبي"، فتحدث عن أبي القاسم الحفناوي، ومحمد بن أبي شنب، ومحمود كحول، ودور عبد الحميد بن باديس في التكوين العقلي للطلبة، و دور محمد البشير الإبراهيمي الذي يُعتبر رائد مدرسة الصنعة الأدبية في الجزائر، حيثُ أعطاه المؤلف صبغة التكوين الفني للطلبة– إن صح القول – لما كان ينشره من نماذج أدبية راقية، تثير الإعجاب، وتدعو إلى الاحتذاء.

كانت هذه قراءة حرة لِمُساهمةِ أحد نُبغاء الجزائر في الصّدْح بما استطاع. ويكفيه فخراً أنه كتب ودرَس وخلّف من المتون ما لا يستغني عنه أي باحث في التراث الثقافي الجزائري، وفي التاريخ الجزائري بالنظر إلى التخصص في هذا المجال، إنه قامة علمية فكرية أدبية، لها وزنها في الكتابات العربية الرصينة، وقديما قالوا: مَنْ حفظ المُتون، حاز الفنون. وخير ما أختم به؛ هذه الرائعة من ديوان الزمن الأخضر، والتي يُغرّدُ فيها[14]:

مِنَ اللّهبِ الأزْرَق
ومنْ حُمْرة الشّفق
ولوْن الدّم المُهْرق
سيصْحو الرّبيع
وتزْهو الوُرود العَذارى
على كل درْب
وفي كلِّقلب
تماثيل فخر
وتيجان حب
إلى الشّهداء....!
ومن أغنيات الرصاص
ودقات قلب الجريح
وآمال فرحتنا الدافقة
سيصحو الربيع
وتشدو الطيور
أغاريدها الساحرة
إلى الصامدين
فتهتز للنغمة الآسرة
قلوب تذوب
حنيناً وشوقاً
إلى فجرها الصاعد
إلى مجدها الواعد..

وقوله[15]:

اللهُ لِلْجميع....
والخبزُوالهواء
والحبُّوالسلام
لنا، لكم، للآخرين...
عيونُنا عيونُكم

فافتحوا صدوركم
لنا...للآخرين...!

أبو القاسم في سطور:مؤرخ وأديب جزائري، اشتهر بعمق التفكير، ولد سنة 1930 ببلدة قمار، ولاية الوادي، جنوب شرق الجزائر. تابع دراسته بواد سوف، حفظ القرآن الكريم، إنتقل إلى جامع الزيتونة سنة 1947، وحصل على شهادة الأهلية سنة 1954. في أكتوبر 1955 إنتقل إلى القاهرة؛ بمساعدة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تحت شعار السفر إلى الحجّ، والتحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، وحصل على شهادة الليسانس في العربية والعلوم الإسلامية، ثم حصل على الماجستيرفي علم التاريخ والعلوم السياسية من الكلية نفسها سنة 1962. بعدها إنتقل إلى أمريكا والتحق بالجامعة وحصل علة شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، باللغة الإنجليزية سنة 1965. عاد إلى الجزائر سنة 1967، والتحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، وفيها أنشأ قسماً للدراسات التاريخية، وهو أول قسمٍ في هذا التخصص، يُنْشأُ بالجزائر منذ تأسيس الجامعة سنة 1909. درّسَ في جامعة "آل البيت" بالأردن، حتى نهاية سنة 2002. إنتاجه غزير بلغ زهاء أربعين كتاباً، ففي الأدبيات له : شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، رائد التجديد الإسلامي إبن العنابي، تاريخ الجزائر الثقافي، أشعار جزائرية (جمع وترتيب)، ديوان الزمن الأخضر، ديوان النصر للجزائر. في التاريخيات، كان إنتاجه وافراً موَزّعا بين مئات المقالات والعديد من الكتب، أكتفي بذكر واحد في أربعة أجزاء: "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر". ويكفيه فخراً أنه نُعِتَ بـ: "شيخ المؤرخين ". توفي الكاتب في شهر ديسمبر سنة 2013 عن عمر يناهز 83 سنة[16].

الهوامش:

1- الديوان، صص، 11، 12.
2- مقدمة ديوان، الزمن الأخضر، أبو القاسم سعد الله، صص،14،12.
3- الديوان، ص 141.
4- الديوان، صص 195، 196.
5- الديوان، ص 124.
6- الديوان، صص 124، 125.
7- الديوان، صص 147، 148.
8- الديوان، ص299.
9- الديوان، ص 191
10- الديوان، ص224.
11- الديوان، ص 369.
12- الديوان، صصص 69، 70، 71.
13- الديوان، ص 39.
14- الديوان، صص، 279، 280.
15- الديوان، ص 349.
16- يُنظر، معجم أعلام الجزائر، في القرنين التاسع عشر- والعشرين، الجزء الثاني، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، أيار/ ماي 2004.